



ما تبلغه رئيس "الائتلاف الوطني للمعارضة" أحمد معاذ الخطيب من رسائل، منذ وصوله إلى هذا المنصب في تشرين الثاني، كان كافياً لتبرير خطوته المفاجئة في قبول دعوة النظام إلى الحوار، وبأقل ما يمكن من الشروط. وتبيّن أن توقيت الدعوة إلى الحوار، التي وجّهها الأسد في خطابه الأخير، لم يكن عبثياً بل ينطلق من أرضية هيأت لها موسكو، لكنها تحظى بـ"السيطرة" على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

وفي تقدير المعارضة أنها تتعرّض لمؤامرة دولية مبطنة، فلا "الائتلاف" حصل على الاعتراف الموعود كممثّل شرعي لسوريا، ولا "الجيش الحر" يزود بالسلاح. أما القوى العربية الداعمة للمعارضة فتختلف إزاء البديل من النظام. فالسعوديون والكويتيون والأردنيون يخشون تكرار التجربة المصرية، أي سيطرة "الإخوان المسلمين" ، ما يمنّهم قاعدة ثانية يقفزون منها للسيطرة على أنظمة أخرى، وأولها الأردن.

أما الهواجس من انتقال الأسلحة غير التقليدية إلى جهات غير منضبطة، فهي تبرّر مخاوف القوى الإقليمية والدولية. والأمر لا يتعلّق فقط بالتنظيمات الجهادية في سوريا، بل أيضاً باحتمال تهريب النظام أسلحة إلى حلفائه في لبنان. والهاجس الإسرائيلي عبرت عنه الضربة الجوية الأخيرة. فالمعارضة السورية مطوّقة.

وعشيّة اجتماع المعارضة في القاهرة للبحث في إمكانات تأليف حكومة في المنفى، جاء موقف الخطيب ليؤكّد اقتناعه بوجود مؤامرة على الثورة. وهذه المؤامرة ليست من صنيعة موسكو وبكين وطهران. فالعواصم الثلاث مواقفها واضحة. بل إنّ المؤامرة من صنيعة القوى التي تتّكل عليها المعارضة السورية سياسياً وعسكرياً ودبلوماسياً، والتي من دونها يستحيل تحقيق الانتصار وتصبح سوريا أمام حرب أهلية تدوم سنوات ولا يبقى بعدها أثر لسوريا الحالية.

والضربة التي تلقاها "الائتلاف"، في مؤتمر الدول المانحة لللاجئين في الكويت، دفعت الخطيب إلى خيار لطالما رفضته مكونات المعارضة، أي محاورة النظام وجهاً لوجه. فالخطيب لم يشترط حتى انتقاء وجوه مقبولة قريبة من النظام للتحاور باسمه، ولم يطالب بوجود طرف ضامن. وكل ما اشترطه هو انعقاد الحوار في القاهرة أو تونس أو إسطنبول، والإفراج عن المعتقلين، وتجديد جوازات السفر للسوريين الذين غادروا بلددهم.

المصادر المتتابعة تتوقع الأسوأ، أي تشرذم المعارضة من باب الموقف من الحوار. فـ"المجلس الوطني"، الذي يشكل "الإخوان المسلمين" نواته الأساسية، لن يوافق على الحوار، وهو بدأ التساجل مع الخطيب علناً. أما هيئـة المناع رئيس "هيئة التنسيق الوطنية" فيبدو أكثر ليونة من الخطيب، إذ وافق على إقامة ندوات حوارية في جنيف، أو حتى في موسكو.

ضربة مزدوجة

وهكذا تبدو المعارضة أمام مفترق خطر. واستطاع الأسد أن يسدّد كرة خطـرة في مرمـاهـا تؤدي إلى نتيـجـتينـ:

- تشرذم المعارضة وازديادها ضعـفاً، في لحظـة حاجـتهاـ إلى دفعـةـ الدـعمـ التيـ تـتيـحـ لهاـ الـانتـصارـ.
- إعادة عقاربـ الساعةـ إلى الوراءـ. فـمبـادـرةـ الأـسـدـ التيـ أـعـلـنـ الخطـيبـ تـجاـوـيـهـ معـهـ، لـيـسـتـ بـعـيـدةـ عنـ الـطـرـحـ الـذـيـ تـقـدـمـ بـهـ المـوـفـدـ الدـولـيـ السـابـقـ كـوـفـيـ أـنـانـ، وـخـلاـصـتـهـ أـنـ يـرـعـيـ الأـسـدـ نـفـسـهـ عـمـلـيـةـ التـغـيـيرـ.

وـثـمـةـ منـ يـقـرـأـ خـطـوةـ الأـسـدـ عـلـىـ أـنـهـ تـكـتـيـكـ لـإـرـبـاكـ الـمـعـارـضـةـ وـكـسـبـ الـوقـتـ وـإـلـيـاءـ بـأـنـهـ يـتـجـاـوـيـهـ بـمـبـادـراتـ، فـيـمـاـ هـوـ فـيـ الـوـاقـعـ يـرـفـضـ أـيـ آلـيـةـ سـيـاسـيـةـ مـنـ شـأنـهـ الـوـصـولـ إـلـىـ تـغـيـيرـ الـنـظـامـ.

لـكـنـ الـمـعـارـضـةـ، عـلـىـ إـرـبـاكـهاـ وـضـعـفـهاـ وـتـبـاـيـنـ مـنـطـلـقـاتـهاـ، لـيـسـتـ فـيـ وـارـدـ التـرـاجـعـ. فـمـاـ حـقـقـتـهـ عـسـكـرـيـاًـ، وـاعـتـرـفـ بـهـ الأـسـدـ فـيـ خـطـابـهـ، يـؤـهـلـهـ الصـمـودـ حـتـىـ إـشـعـارـ آخرـ. فـالـمـارـدـ الـذـيـ اـنـطـلـقـ مـنـ الـقـمـقـ فيـ سـوـرـيـاـ تـصـعـبـ إـعـادـتـهـ إـلـيـهـ.

وهـكـذـاـ، بـيـنـ سـلـطـةـ مـرـهـقـةـ وـمـعـارـضـةـ مـرـبـكـةـ، تـسـتـمـرـ الـمـواـجـهـةـ. وـقـدـ تـنـعـقـ حـوـارـاتـ فـرـعـيـةـ كـتـلـكـ الـجـارـيـةـ فيـ جـنـيـفـ، أوـ أـسـاسـيـةـ كـتـلـكـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ يـخـوضـ فـيـهـاـ الـخـطـيبـ عـلـىـ رـأـسـ "الـائـلـافـ".

وـقـدـ يـتـنـحـيـ الـخـطـيبـ لـفـقـدانـهـ التـغـطـيـةـ. وـلـكـنـ، لـاـ يـبـدـوـ مـصـيـرـ أـيـ حـوـارـ أـفـضـلـ مـنـ مـصـيـرـ الـحـوـارـاتـ الـتـيـ شـهـدـتـهـ الـحـربـ الـأـهـلـيـةـ الـلـبـانـيـةـ بـيـنـ الـأـعـوـامـ 1975ـ وـ1989ـ، وـالـتـيـ لـمـ تـكـنـ سـوـىـ مـحـطـاتـ هـدـنـةـ تـتـيـحـ لـلـأـفـرـقـاءـ تـنـظـيمـ الـمـرـحـلـةـ الـتـالـيـةـ مـنـ الـقـتـالـ.

المصدر: الجمهورية

المصادر: